

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

برل الاشتراك من سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ننم المدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧١٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ جادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ١٤ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

مقاييس وأصول

في النقد والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

ونحن نوجز غاية الإيجاز في الجواب المفيد على هذا السؤال ، فنقول إن التحيز في أحكام الأدب — وفي جميع الأحكام — أخلاق أن ينسب إلى الذين يستحسنون أو يستهجنون لغير سبب يملونه إلا أنهم قد استحسنوا وأنهم قد استهجنوا ولا مزيد . أما أن تبني حكمتك على أصول ومقاييس ثم الآداب كلها ولا تخص أحداً من الشعراء أو الكتاب فليس ذلك من التحيز في شيء كأنك ما كان الرأي الذي ترتئيه . وليس التحيز إلا الذي يستعمل تلك الأصول والمقاييس فلا ينقدها ولا يطلها ولا يفهمها على الوجه الصحيح .

ونحن لا يعنينا شاعر من الشعراء بعينه إذا فهمنا الشعر على حقيقته وطلبيته من معدنه . أما إذا كنا نجعل تلك الحقيقة ولا نعرف الحكم الصادق لذلك المدن فالمصيبة أعم من عصابة شاعر أو الإجحاف به والتحامل عليه لأنها مصيبة الميزان نفسه لاصيبة الشيء الموزون في إحدى كفتيه ، أو في كلتا كفتيه . ونحن لم نقل إن المدرسة الشوقية خلو من محاسنها ومزاياها ، ولا قلنا إنها لم تشتمل على شيء غير القمائن والسيوب .

ولكننا قلنا إنها لم تحقق للشعر أشرف مقاصده وأرفع مزاياه ، وعرضناها على المقاييس الخالدة التي لا سييل إلى التشكيك فيها بحال من الأحوال ، فلم يصدق عليها مقياس منها ولا حاول أحد أن يصحح لنا ما قسناه مخالفاً فيه مذهبتنا في « التطبيق » . وهذه خلاصة تلك المقاييس التي ندع إنكارها لمن يستطيع إنكارها ، أو ندع تطبيقها على خلاف رأينا لمن يشاء كما يشاء .

« كتب الأدب السوري المصري الأستاذ خليل هندواي مقالا في مجلة الكتاب الفيحاء تناول فيه بالنقد مؤلف الأستاذ سيد قطب الحديث عن « كتب وشخصيات » ، واستطرد من نقده إلى الكلام على ما سماه المدرسة الشوقية والمدرسة العقادية في الشعر ، ثم انتهي من كلامه قائلا : ومثل شوق لن تظهر قيمته مدرسة عقادية لأنها أظهرت فيه تحيزها يوم كانت تريد أن تجعل من المازني الشاعر الأكبر ، ومن شكري الشاعر المصور . وما قد طلق المازني الشعر لأنه لم ير نفسه أهلا له ، وما شعر شكري لا يردده أحد ، ولم يبق من تلك الفئة إلا العقاد . والعقاد رجل ذهنية جبارة وعقل خصيب عجيب ، لا يسمح له أن يطير إلا بقدر ... »

« وكان من الحق أن أرجع إلى صاحب المدرسة في هذا السؤال الذي أردت له جواباً شافياً من هاتين المدرستين ... فما قول الأستاذ فيما كتبه الهندواي وما زعمه من التحيز وما حكم به بين المدرستين ... الخ .

على نافع

فالمقياس الأول أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لغوية أو صناعية .

فما من أمة على وجه الأرض إلا وهي تنظم الشعر على اختلاف اللغات والأوزان .

وهي لا تنظم الشعر لأنها تتكلم بهذه اللغة أو تلك ، وتعرف هذا الضرب من العروض أو ذاك . ولكنها تنظمه لأنها كائنات إنسانية حية تجمعها كلها سليقة الإنسان ونوازع الحياة .

فأقول مقياس الشعر الصادق الرفيع أنه يحتفظ بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ، لأنه يرجع إلى الطبيعة ولا يحمل مرجعه كله إلى أعاريض الأوزان أو موقع الألفاظ في الآذان .

نعم إن الموسيقى اللغوية مزينة من مزايا الشعر في كل لغة من اللغات .

ولكنها إذا كانت هي مزينة الوحيدة ؛ أو مزينة الكبرى التي لا ينهض بغيرها ، فأول ما يفهم من ذلك أنه كلام منفصل من الطبيعة الإنسانية ، وأنه صناعة محض وتلفيق من الألفاظ والأوزان ، وليس من الشعر الإنساني الخالد في طراز رفيع . والمقياس الثاني أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه وإن كان وصفاً لغيره .

فإذا قرأت ديواناً كاملاً من الشعر وجب أن تعرف صاحبه وتمثله في دخائل طبيعته ونوازع سريره وأطوار حياته .

وإذا تتبع غزله — مثلاً — في أطوار تلك الحياة وجب أن تتمثل لك سمات حبه وسمات محبوه في كل طور من تلك الأطوار .

فلا يكون الشعر تعبيراً عن نفس حية إذا كنت تجهل تلك النفس حين تقرأ ديوان صاحبها ، ولا تستخرج لها من ديوانه ترجمة حياة داخلية لا يعوزها شيء غير الأرقام والأعلام .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كنت تقرأ غزل الشاعر كله من صباه إلى شيخوخته فلا ترى فيه فارقاً بين محبوب ومحبوب ، ولا بين عاطفة وعاطفة ، ولا بين شباب ومشيب .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كان صاحبه يزعم لك أنه معطيك صورة من الأحياء والجادات وهو لا يعطيك صورة من نفسه .

وإنما هذا صناعة وفقر في نوازع الحياة ؛ لا يبلغ بقائمه من القوة أن يبرز « شخصاً كاملاً » بين غيره من شخوص الأحياء .

والمقياس الثالث للشعر الصادق أن القصيدة بنية حية أو « بنية عضوية » يقع كل جزء منها في موقعه الذي لا يقنى فيه غيره ، كما تتألف الأجسام من الجوارح والأعضاء .

فإذا عالجتها بالتقديم والتأخير مانت كما يموت الجسم الحى الذي تضع قدميه في موضع رأسه أو رأسه في موضع قدميه .

أما إذا جاز لك أن تبهثرها شذر مذر ثم تعيدها في كل مرة على وضع جديد فهي إذن من عالم الجداد لا من عالم الأحياء . بل هي من عالم الجداد الذي لا فن فيه ولا تنسيق له ولا معنى لتركيبه . لأنك لا تستطيع أن تصنع هذا الصنيع بجهد كالتنوال أو جهد كالدولاب أو القدح المنقوش .

هذه أمثلة من المقياس التي ندين بها في نقد الشعر وتقدير الشعراء ...

فلي أى وجه تجوز المخالفة فيها ؟

لا تجوز المخالفة فيها إلا على وجه من وجهين :

فأما أن يقول القائل إن هذه المقياس باطلة في جملتها وتفصيلها ، وإن الشعر قد يكون من طراز الشعر الرفيع وهو لا يعطينا مزينة إنسانية بمنزل عن رنين الأوزان وطلاوة الألفاظ ، ولا يبر لنا عن نفس صاحبه ودخيلة حياته ، ولا تماسك قصائده تماسك البنية الحية التي تستعصى على التقديم والتأخير .

فإن قال القائل هذا فهو رشانه فيما يراه . والناس وشأهم في الأخذ بما رآه .

أما إذا قبل تلك المقياس وارتضاها فليس له غير وجه واحد المخالفة فيها قدّمناه ، وذلك أن يقول إن المقياس صحيحة ولكنها تنطبق على شعر المدرسة الشوقية وما جرى مجراها .

ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يستخلص من دواوين شوقي صورة صادقة له كالصورة التي نستخلصها من الدواوين لأمثال المتنبي والمرى وابن الرومي وأبي نواس وأن يعرف من غزله أطواراً لحبه في الشباب والشيب ، وأوصافاً لمن أحبههم ونظم الغزل فيهم على اختلاف المحاسن والسجايا وأنون الغرام .